قناة لوغوس بالولايات المتَّحدة الأمريكيَّة

أكتوبر – نوفمبر ٢٠١٦م

الحلقتان الأولى والثَّانية

مقدمة عامة عن سرّ المعموديَّة المقدَّس

سرُّ المعموديَّة في الكنيسة المسيحيَّة هو سرُّ الميلاد الجديد من الله. هو سرُّ الميلاد الفوقاني من الماء والرُّوح القُدُس، للحياة في المسيح. فالمعموديَّة توحِّد المؤمن مع المسيح، إذ تمنحه مشاركة المسيح في موته وقيامته[١]، وتطهِّره من خطاياه[٢]، وتهبه الخلاص[٣]، وتمنحه أن يتَّحد بجسد المسيح[٤]، وينضم إلى شركة الكنيسة[٥]، وتوحِّده أيضاً مع بقيَّة المؤمنين ليصير الجميع جسداً واحداً وروحاً واحداً، بإيمان واحد لربٍّ واحد، لأنَّ المعموديَّة واحدة[٦].

وكلُّ من لا يعي كيف وُلد من الله – على قدر ما يعطيه الله – لا يمكنه أن يحيا بحسب مشيئته، لأنَّ سرَّ الميلاد من الله هو سرٌّ روحاني، يحمل في ذاته الميلاد والحياة معاً.

في الميلاد الجسداني يغتذي الجنينُ وهو لا زال في بطن أُمِّه، على نفس غذاء أُمِّه. وحين يولد الطِّفل، ينفصل عنها، ليغتذي حيناً على ثدييها، حتى يستقل كليًّا ليقوت نفسه بنفسه. فلا يُصبح موت الأُم فيما بعد سنين طويلة، سبباً في موت الابن. أمَّا الميلاد الثَّاني من الماء والرُّوح، فهو ميلاد من الكنيسة وفيها إلى أبد الدُّهور، لأنَّ الكنيسة ممتدَّة في حياة الأبد. إذاً فهو ميلادٌ من رحِم الكنيسة الذي هو جُرن المعموديَّة، وفيه، وملتحم به التحاماً سريًّا. فهي حياة جديدة لا تنفصل لحظة عن الميلاد الجديد نفسه، ذلك لأنَّ الميلاد الجديد هو بعينه الحياة في المسيح «لأنَّ كلَّكم الذين اعتمدتم بالمسيح، قد لبستم المسيح» كقول الإنجيل المقدَّس.

إذاً من لا يُدرك كيف وُلد من الله، كيف يمكنه أن يحيا له؟ وهو مع ذلك، إدراك جُزئي غير كُلِّي، كي يظلَّ السِّرُّ سرًّا، ينكشف لكلِّ واحد على قدر ما يعطيه الرُّوح، وعلى قدر اشتياقه لمعرفة كُنه هذا الميلاد الثَّاني. وهذا الإدراك الجزئي، نتعرَّف عليه من ممارسات السِّر، ومنطوق الصَّلوات فيه، والتَّعهدات التي ننطق بها، معلنين جهاراً انفصالنا عن مملكة الشيطان والظُّلمة والعالم، ومتعهِّدين بكامل حرِّيتنا، انضمامنا إلى مملكة المسيح والنُّور والحياة.

هذا هو أقصى ما يمكن للعقل أن يُدركه، لكن يظلّ الجانب السِّري والخفي، أعلى بكثير جدًّا – وبما لا يُقاس – من إدراكنا الضَّعيف القاصر، عندما نصير بالمعموديَّة أبناءُ الله وورثة ملكوته ومجده « لكي تسلكوا كما يحق لله الذي دعاكم إلى ملكوته ومجده» (١ تسالونيكي ٢:١٢).

فبالمعموديَّة يصير لنا عند الآب كلُّ ما للمسيح، حتى حيث يكون هو، نكون نحن أيضاً معه، ننظر مجده، بل ونحيا مجد المسيح الذي له عند أبيه، «إنَّ الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الرُّوح وتصديق الحق، الأمرُ الذي دعاكم إليه بإنجيلنا لاقتناء مجد ربِّنا يسوع المسيح» (٢تسالونيكي ٢:١٣، ١٤). ولكن يظلُّ الخالق خالقاً والمخلوق مخلوقاً، فكلُّ مجد الآب هو في

---

١ رومية ٦:٤
٢ ١ كورنثوس ٦:١١
٣ مرقس ١٦:١٦
٤ ١ كورنثوس ١٢:١٣
٥ أعمال ٢:٤١، ١٨:٨
٦ أفسس ٤:٥

المسيح بالطَّبيعة، لأنَّ الابن مساو لأبيه في الجوهر، أمَّا مجد الآب فينا، فهو عطيةً وُهبت لنا بالنِّعمة في المسيح. وفي ذلك يخاطب المسيح الآب من جهتنا قائلاً: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أنَّنا نحن واحد. أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد» (يوحنَّا ١٧:٢٢-٢٤). فهلمَّ الآن نبتهجُ قائلين: «الرَّبُ إلهُنا قد أرانا مجده» (تثنية ٥:٢٤)، نعم فقد «حلَّ بيننا ورأينا مجده» (يوحنَّا ١:١٤).

ويتكلَّم القدِّيس بطرس الرَّسول عن المجد الذي صار لنا في المسيح، ماسكاً بناصية الأمر، عندما يُعلن أنَّ سرَّ استعلان مجد المسيح في أولاده، لابد أن يكون من خلال آلام الزَّمان الحاضر. نعم، لأنَّه هو بالذَّات حين رأى مجد الله على جبل التَّجلي، لم يحُز هذا المجد فيه إلاَّ بعد أن نزل أوَّلاً من الجبل ليحمل آلام الصَّليب. وهذه الخبرة الرُّوحيَّة ينقلها إلينا بقوله: «إن عُيِّرتم باسم المسيح، فطوبى لكم، لأنَّ روحَ المجد وروحَ الله يحلُّ عليكم τό τῆς δόξης καὶ τὸ τοῦ Θεοῦ Πνεῦμα (١بطرس ٤:١٤). ويقول أيضاً: «وإلهُ كلِّ نعمة الذي دعانا إلى مجده الأبدي في المسيح يسوع بعدما تألَّمتم يسيراً، هو يكمِّلُكُم ويثبِّتُكُم ويقوِّيكُم ويمكِّنُكُم» (١بطرس ٥:١٠).

هذا هو الجانب السِّري والخفي في سرِّ المعموديَّة، وهو ما لا يمكننا أن ندركه كلَّه، إذ كيف يمكن للتُّرابيِّين أن يحوزوا مجد المسيح، ويصير لهم عند الآب ما للمسيح له المجد عند أبيه؟ إنَّ العطيَّة أعظم من احتمالنا البشري الضَّعيف، فهل نشكُّ فيها لأنَّها فائقة جدًّا على إدراكنا؟ إنَّ هذا بعينه هو ما فعله المسيح لنا، من داخل الكنيسة المقدَّسة، عندما أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له، ونحن إزاء هذا السَّخاء الإلهي، لا نملك سوى أنْ نسبِّحه ونمجِّده ونزيده علواً.

إذاً كما سبق أن ذكرتُ – وأعودُ الآن وأكرِّر – كلُّ كنيسة لا تعلِّم أولادها كيف ولدتهم لله، لا يمكنها – مهما بذلت – أن تنقل إليهم سرَّ حياة المسيح فيهم، لأنَّ الميلاد من الله لا ينفصل قط عن الحياة فيه.

إنه ميلاد يتم فينا كلَّ يوم، لحياة نحياها في المسيح وله، كقول الإنجيل المقدَّس:
«الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمِّل إلى يوم يسوع المسيح» (فيلبي ١:٦).
«بل صادقين في المحبَّة ننمو في كلِّ شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح» (أفسس ٤:١٥).
«ولكن انموا في النِّعمة وفي معرفة ربِّنا ومخلِّصنا يسوع المسيح» (٢بطرس ٣:١٨).
«فمن ثمَّ أيها الإخوة، نسألكم ونطلب إليكم في الرَّب يسوع أنَّكم كما تسلَّمتم منَّا كيف يجب أن تسلكوا وترضوا الله، (كما أنتم فاعلون)[٧]، تزدادون أكثر» (١تسالونيكي ٤:١).

إنَّ فعل سرِّ المعموديَّة، لا يتوقَّف أبداً في حياة الكنيسة، بل هو دائمٌ في حياة أولادها كلَّ يوم. وما سرُّ التَّوبة في الكنيسة، إلاَّ استمرارٌ لمفاعيل سرِّ المعموديَّة فيها. فالغاية العُظمى والأخيرة لسرِّ التَّوبة والاعتراف في الكنيسة، هي أن يُرَد الإنسان مرَّة أُخرى إلى حالته الأولى، يوم أنْ خرج من جُرن المعموديَّة مضيئاً بضياء الله، ومطهَّراً بالرُّوح القُدُس. وكلُّ توبة واعتراف ليست من داخل سرِّ المعموديَّة، لا تفيد شيئاً. فإذا لم يعرف الإنسان ماذا فعلت فيه المعموديَّة، فكيف يمكنه أن يباشر توبته في الكنيسة كلّ يوم؟ التَّوبة في الكنيسة ليست غفراناً للخطيئة فحسب، بل هي شفاءٌ كُليٌّ، وتجديدٌ لسرِّ المعموديَّة في حياتنا كلّ يوم.

والميلاد الجسداني يتم للإنسان بغير إرادته، وهكذا لزم أنَّ موت الإنسان يتم أيضاً بغير إرادته. وبذلك يُفضي الميلاد الجسداني إلى موت جسداني بعيداً عن رغبة الإنسان وإرادته. أمَّا الميلاد الرُّوحاني، فهو لا يتم فيه بغير إرادته، وبالتَّالي موته الرُّوحاني لا يكمُل فيه إلاَّ وفق مشيئته، وذلك عندما يرفض الحياة في المسيح. «قد جعلتُ قدَّامك الحياة والموت ... فاختر

---

[٧] καθὼς καὶ περιπατεῖτε "كما أنتم فاعلون"، وردت هكذا في الأصل اليوناني، وفي جميع التَّرجمات الأجنبيَّة الحديثة للكتاب المقدَّس، باستثناء ترجمة الملك جيمس، وهي التَّرجمة الإنجليزيَّة القديمة التي نقلت عنها التَّرجمة البيروتيَّة.

الحياة لكي تحيا» (تثنية ١٩:٣٠). «هكذا قال الرَّب ها أنذا أجعل أمامكم طريق الحياة وطريق الموت» (إرميا ٨:٢١). «فاتركوا الجهالات فتحيوا وسيروا في طريق الفهم» (أمثال ٦:٩).

ولكن لعلَّ قائلاً يقول: وماذا عن الطِّفل الذي يُعمَّد في الكنيسة بغير إرادته؟ نعم، ولكنَّه بعد أن يُدرك كُنه ميلاده، له أن يختار أن يكمِّل حياته وفق هذا الميلاد الجديد، أو يرفضه، ذلك لأنَّ فعل الميلاد من الله في الكنيسة يمتد فيها أبداً كما ذكرتُ من قبل. هو فعلٌ يبدأ في لحظة ما، ولكنَّه يمتد دائماً في حياة الإنسان الذي يحيا في الكنيسة وأسرارها، وما جهاد الإنسان ونموُّه في حياته مع الله إلاَّ ارتكازٌ على هذا الميلاد الجديد.

مشيئةُ الله هي أنَّ جميع النَّاس يخلُصون وإلى معرفة الحق يُقبلون. وإرادةُ الله هي قداستُنا. فإن كُنَّا نبغي الخلاص، فلابد لنا أن نجدِّد عهد ميلادنا الذي قطعناه على أنفسنا يوم صرنا رعيَّة مع القدِّيسين وأهل بيت الله، نجدِّده كلَّ يوم. وإن كنتَ لا تعرف حبيبي ما هي العهود التي تعهدتَ بها يوم ميلادك الثَّاني، و لم يُخبرك أحدٌ بها، فهي ما سنشرحه الآن، لكي تعرف أنَّ ما ستسمعه هو بعينه ما قلتَه أنت، أو قاله من ناب عنك، يوم معموديَّتك، يوم كنتَ طفلاً صغيراً، والآن أنت مطالَبٌ بتنفيذ كلِّ عهودك التي قطعتها على نفسك، فقد تسجَّل تعهُّدك في سفر الحياة في السَّماء، أمام محضر من الملائكة والقدِّيسين الذين شهدوا يوم ميلادك الجديد.

إنَّ تبعيَّة المسيح، كلَّها فرحٌ قلبي، وعزاءٌ داخلي، وسلامٌ إلهي، يحوطه من الخارج – ومن الخارج فقط – حزنٌ ظاهري، وضيقٌ سطحي. «حاملين في الجسد كلَّ حين إماتة الرَّب يسوع، لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا » (٢كورنثوس ١٠:٤).

فهلمَّ ندخل سوياً إلى الكنيسة من بابها (أي المعموديَّة) كي نبلغ إلى منتهى حياتها (أي المسيح نفسه). جُرن المعموديَّة يؤدِّي حتماً إلى حياة ملتصقة بالمذبح المقدَّس حتى النَّفَس الأخير، والمذبح يجدِّد عهد المعموديَّة. فالمعموديَّة بغير مذبح، هي ميلاد جديد لموت محتوم. لأنَّ كلَّ مولود لا يغتذي، يموت. والمذبح هو غذاء المولودين من الله، بالله نفسه، الذي هو خُبز الحياة، والماء الحيّ.

إنَّ اللِّيتورجيَّة المسيحيَّة لا تحقِّق معناها وفعاليَّتها في الكنيسة إلا بالمعموديَّة ومن خلالها. فالمعموديَّة هي قلب ليتورجيَّة الكنيسة وتقواها. هي بابُ الحياة الجديدة، والقوَّة التي تحفظ هذه الحياة وتُنميها فينا. هي محور التَّقوى المسيحيَّة وأساسها فينا[٨].

المعموديَّة هي سرُّ العبور من حياة قديمة بحسب الجسد إلى حياة جديدة بحسب الرُّوح. هذه الحياة الإلهيَّة – أي التي بحسب الله – تبدأ من المعموديَّة وتكتمل فيها. هي فرح المفديِّين، ونور الجالسين في الظُّلمة، هي ختمٌ ملوكي يهب من نالها ارتقاءٌ بلا حدود، إلى ملء قامة المسيح، لأنَّها ارتداءٌ للمسيح من داخل الكنيسة وحياتها.

المعموديَّة ليست وسيلة نعمة، بل شركة حقيقيَّة في موت الرَّب وقيامته. موت بشبه موت المسيح، وقيامة حقيقيَّة معه. فالمعموديَّة لا تمثِّل أو تصوِّر هذا الموت، أو هذه القيامة في المسيح، كتعبير ظاهري عن هذا الإيمان، بل هي نفسها مضمون هذا الإيمان وحقيقته. هي ليست رمزاً أو مجازاً لهذا الإيمان، أي رمزاً لشركتنا في موت الرَّب وقيامته، بل حدثٌ حقيقيٌ لهذه الشَّركة، وهنا يكمُن سرُّها، وهذا هو المدخل الوحيد للحياة في المسيح.

نحن في المعموديَّة نعتمد بـ ''شبه'' موت المسيح، لأنَّ ما نجوزه من موت في المعموديَّة، هو لكي ننجو بموت المسيح الخلاصي وليس بموتنا نحن. فنعتمد بشبه موت المسيح، وليس كموت المسيح في جوهره، كفعل خلاصي لكلِّ العالم. لأنَّ المسيح مات بجسده الذي اتَّحد بلاهوته بلا افتراق عنه، ولا عند موته، فصار موته إبادة للموت الأبدي بسبب لاهوته المتَّحد بناسوته، والذي أفرز فيه قوَّة حياة، أنهضته من الموت حائزاً نصراً وحياة لكلِّ من يجوزون في شبه موته بالمعموديَّة. فنحن

[٨] الأب ألكسندر شميمان، بالماء والرُّوح، منشورات النُّور، ص ١١

نموت بشبه موته، لأنَّ موتنا لا يكمِّله سوى موت المسيح وحده. إنَّنا نشترك في شبه موت المسيح، وليس في جوهر موته، لأنَّ الفارق بينهما هو الفرق بين ما هو إلهي وما هو بشري، ولكنَّه في كلا الحالين موت حقيقي، ليس للجسد المنظور بغرائزه الطَّبيعيَّة، بل للإنسان العتيق الذي يُدفن حقًّا في المعموديَّة، ليولد الإنسان الجديد فينا، والذي به – وبه وحده – نرث الحياة الأبديَّة. لأنَّه لا يمكن للجسد الطَّبيعي أن يدنو من عرش الله، لأنَّه لا يستطيع.

إيمانُنا بالمعموديَّة هو أنَّها موت حقيقي وقيامة حقيقيَّة في المسيح، أمَّا أنَّنا نشترك بالمعموديَّة في شبه موت المسيح، وليس في جوهر موته، فذلك لأنَّ موته كان من أجلنا كلِّنا، أمَّا موتي أنا مع المسيح، فهو لكي أموت عن الخطيئة التي فيَّ، لأحيا لله بالمسيح.

وفي ذلك يقول القدِّيس يوحنَّا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م):

[لم يتحدَّث الرَّسول بولس عن موته (أي موت المسيح) حتى لا يفزع أحدٌ، بل عن شبه موته. لأنَّنا أنفسنا لم نُمت، بل إنسان الخطيئة ... نحن نُدفن في المياه، أمَّا هو ففي الأرض. نحن (نُدفن) بسبب الخطيئة، أمَّا هو فلأنَّه أخذ جسداً. ولهذا لم يقُل الرَّسول إذا كنَّا قد دُفنَّا معه في موته، بل في شبه موته. فكلا الحالتَين موت، لكن الموت مختلف ... ولأنَّنا بصدد الموت، وهو قال قبلاً «أما تعلمون أيها الإخوة أنَّ الذين اعتمدوا ليسوع قد اعتمدوا لموته»، لهذا لم يُشر صراحة إلى القيامة، بل إلى طريقة الحياة بعد المعموديَّة وهي السُّلوك في الحياة الجديدة. والرَّسول لا يقول إنَّنا صُلبنا، بل صُلبنا معه، وهو لهذا يقرِّب المعموديَّة من الصَّليب. ولهذه النَّتيجة قال سابقاً إننا دُفنَّا معه في شبه موته، لكي يهلك جسد الخطيئة. وهو هنا لا يتحدَّث عن أجسادنا الحاليَّة، بل عن الشَّر كلِّه، لأنَّه يُسمِّي الشَّر كلَّه: الإنسان القديم أو العتيق] (عظة ١١ على رسالة رومية).

ويقول أيضاً في موضع آخر:

[نحن نتصوَّر الدَّفن كعمليَّة إنبات للبذور في الأرض. نعم أن نميت ذواتِنا من جهة الأمور المنهي عنها، ونعلن إيمانا بأعمال المحبَّة، فنصير مؤهَّلين لأن ننطق بنفس الرَّجاء في كلمات الرَّسول القائلة: «فإنَّ سيرتنا نحن هي في السَّموات التي منها أيضاً ننتظر مخلِّصاً هو الرَّبُّ يسوعُ المسيح، الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده، بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كلَّ شيء» (فيلبي ٣:٢٠، ٢١) ... نحن الذين ننال معموديَّة الماء ندفن الجسد بالتَّأكيد، حيث أنَّ المعموديَّة هي مثال للصَّليب والموت والقيامة من الموت كما يقول الرَّسول: «أميتوا أعضاءكم التي على الأرض» (كولوسي ٣:٥) ... «كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطيئة، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربِّنا» (رومية ٦:١١)] (الكتاب الأول: ١٣:٢، ١٥).

ويعقِّب القدِّيس كيرلُّس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م) على نفس الموضوع قائلاً:

[نحن لم نُمت فعلاً، و لم نُدفن، كما أنَّنا لم نُصلب في الواقع، أو نقوم من الموت، بل نتشبَّه بكلِّ هذا، وفي نفس الوقت كان خلاصُنا حقيقياً. المسيح فعلاً صُلب، وفعلاً دُفن، وحقًّا قام، ولذلك منح لنا كلَّ هذه مجَّاناً، حتى إذا ما اشتركنا في شبه موته، ننال الخلاص في الحقيقة] (٢٠:٧).

ويضيف في موضع آخر قائلاً:

[كيف نبلغ إلى التَّشبُّه به في موته؟ أليس بالدَّفن معه في المعموديَّة؟ ... أعطانا الرَّب مدبِّر حياتنا، عهد المعموديَّة وجعله رمزاً للحياة والموت، فالمياه تكمِّل صورة الموت، أمَّا الرُّوح فهو يعطينا عربون الحياة] (الرُّوح القُدُس ١٥:٣٥).

وتعبير القدِّيس كيرلُّس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م) السَّابق ذكره مباشرة، والذي يقول فيه بأن عهد المعموديَّة هو رمز للحياة والموت، لا ينبغي أن نفهمه طبقاً لما نعرفه اليَوم عن معنى كلمة ''رمز''، ذلك لأنَّ مفهوم الرَّمز في العهد الجديد يختلف

عنه في العهد القديم. فهو في هذا الأخير تعبير أو إشارة إلى ما سوف يحدث في المستقبل، أمَّا في العهد الجديد، وبحسب آباء الكنيسة، فهو ما يحدث بالفعل في حياة الكنيسة الآن.

يقول الأب ألكسندر شميمان (+١٩٨٣م)[٩] Alexandre Schmemann: ''إنَّ التَّمييز بين الرَّمز والحقيقة لم يكن وارداً عند آباء الكنيسة، ولا في التُّراث الكنسي المبكِّر. فعند الآباء، الرَّمز يتضمَّن الحقيقة ويعبِّر عنها، وهو الصِّيغة التي تَظهر الحقيقة فيها ومن خلالها. فاستعمال الآباء للفظة 'رمز' وللألفاظ المرتبطة بها، ليس غامضاً، ولا غير دقيق، بل هو مختلف عن استعمال اللاَّهوتيِّين المتأخِّرين لها، إذ يبدو أنهم لا يدركون أنَّ التَّحوُّل المتأخِّر في استعمال هذه الألفاظ هو في الأساس إحدى أبرز المآسي اللاَّهوتيَّة.

فالرَّمز ليس سبيلاً إلى إدراك الحقيقة وفهمها وحسب، أي ليس واسطة إدراك وحسب، بل هو واسطة مشاركة أيضاً. لقد صار الرَّمز عند اللاَّهوتيِّين المتأخِّرين أداة معرفة، كأي معرفة، معرفة عن الشَّيء، لا للشَّيء في ذاته.

وعموماً، فإن موضوع الرَّمز والمثال ὁμοίωμα – τύπος – σύμβολον في نصوص الصَّلوات اللِّيتورجيَّة وكتابات آباء الكنيسة، هو موضوع آخر قائم بذاته، وليس مجاله الآن.

وسوف نتكلَّم في الحلقات التَّالية عن سرّ المعموديَّة، محاولاً قدر الاجتهاد، تركيز الحديث عنها في إطار من أقوال آباء الكنيسة القدِّيسين، ضماناً لينابيع عذبة نقيَّة تروي عطشنا للتَّعرُّف على الباب الذي دخلنا منه لنحيا الكنيسة. فلقد توافر آباء الكنيسة على المعموديَّة بالشَّرح، بتعاليمهم وعظاتهم، حتى يكاد أنَّهم لم يتركوا لمجتهد أن يُضيف الجديد. بالإضافة إلى أنَّ اعتمادنا على مصادر آبائيَّة، يسمح لنا أن نكون قريبين من عصر نشأة سرِّ المعموديَّة في أصوله الأولى.

وإلى جانب المصادر الآبائيَّة، فقد اعتمدتُ أيضاً على الآثار اللِّيتورجيَّة القديمة، والوثائق المتاحة لدينا منذ نهاية القرن الثَّاني الميلادي في الشَّرق المسيحي، والتي أمدَّتنا بمعلومات قيِّمة، لم يستفد منها كثيرون من مؤرِّخي الطَّقس كما ينبغي أن تكون الاستفادة[١٠]، محاولاً قدر الاستطاعة، أن أحدِّد الخصائص التي تميِّز طقس المعموديَّة في الكنائس الشَّرقيَّة المختلفة.

فضلاً عن أنَّ حياة المسيح له كلُّ المجد، وتعليمه، وكلمة الرُّوح نفسه في الإنجيل المقدَّس، مع الصَّلوات الطَّقسيَّة للسِّر، سوف تكمِّل وتجمِّل كلَّ جوانب الموضوع.

وعند شرحي لسر المعموديَّة، سأشرحه عبر تاريخه الطَّقسي، والذي يمتد منذ نشأة الكنيسة المسيحيَّة وحتى الآن، مع عرض النُّصوص اللِّيتورجيَّة، والتي ربما لم تقابلنا من قبل، بالإضافة إلى بعض مقارنات طقسيَّة بين الكنائس المختلفة، لندرك كم أنَّ للرَّب الأرض وملأها، وكيف أنَّ الكنيسة واحدة وإن تعدَّدت وتباينت مراسيم طقوسها في السِّر الكنسي الواحد.

يقول الأب ألكسندر شميمان (+١٩٨٣م) في كتابه ''بالماء والرُّوح'': ''إنَّ حياتنا كلَّها تستندُ إلى المعموديَّة، وتُعطَى لنا فيها، ويجب أن تكون على صلة دائمة بها. ففهم هذا السِّر فهماً صحيحاً لا يكون مجرَّد ضرورة فكريَّة، بل هو ضرورة كيانيَّة لنا''.

---

[٩] الأب ألكسندر شميمان – وهو من أصل روسِّي – قد شغل منصب عميد معهد القدِّيس فلاديمير للاَّهوت بنيويورك، وأستاذ مادة لاهوت اللِّيتورجيَّا فيه. وتوفى سنة ١٩٨٣م. وقد عُرف محاضراً لامعاً وراعياً حقيقيَّا غزير القلم.

[10] Le premier dôme Fernand Cabrol & R.P. dôme Henri Leclercq, *Dictionnaire d'archéologie chrétienne et de liturgie* (*DACL*), Tome 2, Paris, 1925, p. 251.